بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة	7
تمهيد	8
مصطلحات الدراسة	10
إطلالة على مواقع التواصل	14
تأثيرات وسائل الاتّصال على الأسرة	18
نتفليكس مثال الشركات الإعلاميَّة الضخمة	30
تفسير النظريَّات المرتبطة بالدراسة	35
الخلاصة	42
التوصيات	45
قائمة المصادر والمراجع	50

مقدّمة

تعاني الأسرة في لبنان اليوم من تحدّيات كبيرة، منها تأمين لقمة العيش، وتأمين التعليم المدرسي والجامعي، وتأمين الطبابة والاستشفاء، وغيرها الكثير من الأمور الحياتيّة والمعيشيّة. لكن يبقى التحدّي الأخطر الذي يهدّد بنيتها وهويتها هو الغزو الفكريّ والثقافيّ والسلوكيّ الوافد إلينا عن طريق القنوات الفضائيَّة ووسائل التواصل الاجتماعيّ والتي بدأت معها تطرأ على الأسرة متغيّرات عميقة التأثير نالت من علاقات الأسرة فيما بينها .

تتناول هذه الدراسة المتغيّرات المتأتية من اندماج التكنولوجيا والإعلام اجتماعيًّا، بالاعتماد على تصنيف الأجيال والأسرة كونهم مستهلكين ومستهدفين في آن معًا؛ ضمن ما يسمى حروب الجيل السادس كأحد وسائل الإعلام الدولي. المقاربة وصفيَّة لعدد من المؤشرات المرتبطة والمتحوّلة إلى نوع من التحدّيات الخاصّة، من خلال تناول نماذج منصّات التواصل الاجتماعيّ والإعلام الفضائي، والاستعانة بأبرز نظريّتين لتفسير متغيّرات التلقي والاستخدام والانعكاسات الاجتماعيَّة؛ وهُما نظريتا الحتميَّة التكنولوجيَّة والحتميَّة الاجتماعيَّة.

تتطرّق هذه الدراسة التي أعدّها مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة إلى أبرز ما ينتهجه هذا الإعلام الجديد من تأثيرات سلبيَّة ومشاكل فرديّة واجتماعيّة، في محاولةٍ لتقديم مقترحات وتوصيات تساهم في المعالجة. كما يأمل مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة أن تقدِّم هذه الدراسة النظرة الصحيحة للواقع، وأن تساهم في ابتداع الحلول.

مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة

أُفُق

تمهيد

تتسارع الصناعات التكنولوجيَّة عامّة والاتصاليَّة، وبالرغم من التنبؤات [1] العديدة في المجال الاتّصالي، بدءًا من المدينة الكونية/الكوزموبوليتية إلى الواقع المعزّز وليس على سبيل الحصريّة، فإن تناول موضوع الإعلام حاليًّا لا يأتي بنتائج ملموسة دون الولوج إلى مفرداته الاتّصاليَّة وموقعه في العلوم المترابطة interdisplinary sciences؛ فتشكّل العلوم كافّة بشقّيها الإنساني والاجتماعي ميادين بحوث مشتركة، وهنا تتشابك العلاقات في المجال الاجتماعي أكثر فأكثر لقدرة التكنولوجيا على تجسير أي علاقة بين العلوم التطبيقيَّة والعلوم الاتصاليَّة، ولم يعد الاتّصال هو المجال الذي يقتصر على محدوديَّة الإعلام سابقًا. فيأتي تأثير الاتّصال في نقطة الارتكاز الأساسيَّة وهي المجتمع بجميع مكوّناته؛ لا سيما الأسرة. هذا التأثير لا ينحصر في نقاط الضعف، بل وفي التحدّيات التي قلّما تمّ تناولها من زاوية الحتميَّة التكنولوجيَّة والحتميَّة الاجتماعيَّة، وبالتالي هذا التغيير الاجتماعيّ المتدافع والمتفاعل في الأنساق الاجتماعيَّة كافة، سيأخذ مداه إلى حدودٍ كانت في الماضي اتّهامات لحروب إعلاميَّة للسيطرة على المجتمعات، واليوم الجيل السابع من الحروب المستقبليَّة القريبة.

تأخذ هذه الدراسة بالمتغيرات التكنولوجية وتأثيراتها على الوسائل الاتّصاليَّة في المجتمع، وما أحدثته في الدور المنوط بها، لتتحوّل إلى وسائل سيطرة وتحكّم من جهة التهديدات، ووسائل لاكتساب المعرفة المتاحة لتفكيك قيود السيطرة والتحكّم من جهة الفُرص. وتشكّل الأسرة، بأنواعها المختلفة ضمن علم الاجتماع الأسرة، اللبنة الأساسيَّة في بناء المجتمع الواعي للمتغيّرات التكنولوجيَّة التي تستهدفه للتنمية أو للسيطرة، ولعل بعض هذه المتغيرات تتحوّل إلى تحدّيات فعليَّة للأسرة، كونها المستهدف

1 - والتي تأخذ طريقها إلى التحقق، أوّلًا بأوّل.

الفعلي والفاعل الاجتماعي في نفس الوقت؛ ما يعزّز التوجّه إلى المتغيرات والتحدّيات كمنطلق تأسيسي للمقاربة.

تشكّل الأسرة اللبنة الأساسيَّة في بناء المجتمع الواعي للمتغيّرات التكنولوجيَّة التي تستهدفه للتنمية أو للسيطرة، ولعل بعض هذه المتغيرات تتحوّل إلى تحدّيات فعليَّة للأسرة.

أهداف الدراسة

تستعرض الدراسة الوصفيَّة التي نحن بصددها تأثير الإعلام وإبراز للتحدّيات الاجتماعيَّة جراء ذلك - بالمعنى الواسع - على الأسرة عامَّة وأسرة بيئة المقاومة خاصّة، إضافة إلى منصّات التواصل الاجتماعيّ، ما يجعل الاستهداف والتأثير متواصلين في ظل إمكانات ضخمة، ومرخَّص لها أن تُنوّع أساليبها حسب ناي (2010)، فيعرّف هذه الإمكانات بالقدرة للحصول على النتائج المرجوّة، من خلال استخدام مصادر المعلومات المرتبطة بالفضاء الإلكترونيّ، لخلق مزايا والتأثير في الأحداث المتعلّقة بالبيئة الواقعيَّة الأخرى من خلال أدوات إلكترونيَّة.

تقوم الدراسة التي نحن بصددها، على مقاربة نظريَّة تتناول متغيّر أساسيّ هو الإعلام والاتّصال ومتغيَّر تابع هو التأثيرات الاجتماعيَّة وضمنًا الأسرة، وذلك للمروحة الواسعة لتشابك التأثيرات بين العلوم، لا سيما علوم الإعلام والاتصال بوصفها قنوات تكنولوجيَّة لنقل محتوى تواصليّ أصبح مدمجًا؛ وتهدف من خلال المقاربة إلى تحقيق التالي:

- تبيان التطور والدمج الحاصل في علوم الإعلام والاتصال ICT، والمقدرات الجوهريَّة الناجمة core competences، وهي المهارات التي تغيّرت بتأثيرات هذا الدمج من حيث القدرات الفاعلة في السيطرة على واقع معين.

-الكشف عن التغييرات المجتمعيَّة الناتجة عن الدمج بين الوسائل والمحتوى، وبالتالي تغيير الفاعلين في المجتمع actors .

- التعرّف على بعض النظريّات الحديثة لتفسير التغييرات المجتمعيَّة وتأثيرها على الأفراد، منفصلين أو منضوين ضمن مجموعات نواتيَّة ومنها الأسرة.

- استكشاف تحدّي مواجهة الإعلام الدولي كأحد العناصر الفاعلة في العلاقات الخارجيَّة، وبالتالي استخدامه في الحروب اللينة؛ لا سيما في الدول التي تملك التكنولوجيا اللازمة لتقديم المحتوى الموجه لدول أخرى، ما يستبطن حربًا ناعمة، كحروب الجيل السادس.

مصطلحات الدراسة

تبصرة لا بد من ذكرها قبل تحديد المصطلحات، تتعلّق بمتغيرات الدراسة التي نحن بصدد تناولها، وهي أنّ الإعلام والاتّصال هو المتغيّر المستقل في الدراسة بينما الأسرة هي المتغيّر التابع؛ فعلوم الاتّصال الحاليَّة تهيمن على مختلف ميادين العلوم الاجتماعيَّة من خلال مقاربتها السلوكيَّة الفرديَّة والمجتمعيَّة للمستهدفين.

وسيكون لعدد من المصطلحات أهميَّة فاصلة في الدراسة، فكان لا بدّ من تحديدها من حيث التعريف الدلالي، وعدم الغوص في التعريفين اللغويّ والاصطلاحيّ.

مواقع التواصل:

تشير وسائل التواصل الاجتماعيّ بشكلٍ عام إلى مواقع الويب والتطبيقات المصممّة للسماح للأشخاص بمشاركة المحتوى بسرعة، وفي وقت حدوثها الفعليّ synchronize، وإتاحة العديد من التطبيقات على الهواتف الذكيَّة، أو أجهزة الكمبيوتر المكتبيَّة أو اللوحية، وهي توفّر للمستخدم تبادلاً سهلاً للمعلومات الشخصيّة والمحتويات الأخرى كالتعرّف على الاتّجاهات والتفضيلات للمستخدمين الآخرين؛ مثل مقاطع الفيديو والصور والأفلام، (Kanton،2018).

الفضائيَّات:

تُشكّل الفضائيات إحدى المنصَّات الإعلاميَّة التي ظهرت أواخر القرن الماضي، تهتم بتقديم محتوى إعلاميّ متنوّع. وقد أطلق مصطلح الفضائيَّات باسم المحطّات التلفزيونيَّة؛ فهي ترتبط بشكل مباشر مع الأقمار الفضائيَّة للبث، لتصل إلى مختلف أجزاء العالم وفقَ منطقة البث الذي يغطّيه القمر الصناعيّ.

الأسرة:

يُعرِّف عالم الاجتماع إميل دوركايم Durkheim Emile الأسرة أنّها ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينجبانه من أولاد؛ بل هي مؤسّسة اجتماعيَّة تكوَّنت

لأسباب اجتماعيَّة، وتربط هؤلاء علاقات قويَّة متماسكة تعتمد على أواصر الدم، والمصاهرة، والتبني، والمصير المشترك. فالأسرة ليست فقط تجمّع لأفراد، بل هي مؤسّسة اجتماعيَّة أوجدها المجتمع لهدف معين، تربط أفرادها علاقات متينة، أو ما يعرف بالمجتمع العضويّ.

ويشير السيد القائد الإمام علي الخامنئي «حفظه الله» إلى الأسرة بقوله: «إنَّ مسألة الأسرة هي مسألة مهمة جدًّا، القاعدة الأساس للمجتمع، الخليَّة الأساس للمجتمع، إذا استطعنا أن نحفظ هذه الخلايا سليمة فسيكون الجهاز سليمًا» [1].

> **إنَّ مسألة الأسرة هي مسألة مهمة جدًا، القاعدة الأساس للمجتمع، الخليَّة الأساس للمجتمع، إذا استطعنا أن نحفظ هذه الخلايا سليمة فسيكون الجهاز سليمًا.**

الجيل السادس للحروب [2]:

ذُكِر أنَّ روسيا هي أول من أطلقه، والمقصود به الحرب التي تُدار عن بعد، من خلال استخدام الأسلحة الذكيَّة لتأليب المجتمع من خلال التجنيد الكامل لشبكات الإنترنت بهدف هدم أركان المجتمع أو الدولة لإفشالها من الداخل (علّو، 2019).

الإعلام الدولي:

هو وسيلة من وسائل السياسة الخارجيَّة، ويعمل مع وسائل أخرى على تحقيق هذه السياسة لبلوغ المصلحة أو المصالح المحدّدة في السياسات الخارجيَّة لدولة ما اتّجاه دولة أو عدة دول أخرى، ويختلف حجم هذه الوسيلة بين دولة وغيرها بحسب تقدّمها التكنولوجيّ (صديق، 2015).

---

1 - منتدى مهدي، المقالات التربوية، سلسلة الندوات الفكريّة الثقافيّة - الندوة (رقم 3): الأسرة عند الإمام الخامنئي، 9-11-2015.

2 - أجيال الحروب هي تصنيفات للوسائل المستخدمة والسياسات المتبعة، مثال الجيل الخامس: «احتلال العقول لا الأرض، وبعد احتلال العقول يتكفّل المحتل بالباقي».

التحدّيات:

إن التحدي لغةً يعني المباراة والمبارزة والمنازعة، مع توقّعات غير محصورة منها:

- إمكانية ذلك بين الأطراف.

- عدم الإمكانية بين الأطراف [1].

أمَّا من حيث الاصطلاح فنجد تعريفات عديدة تلامس جوانب مختلفة، وهي على سبيل المثال:

- المتغيرات المعاصرة الناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي والعولمة.

- إطلاق التحدي على مفهوم الأزمة؛ فالتحدّيات هي مجموعة أزمات تواجه مجتمع ما أو مجموعة مجتمعات.

- القضايا والمشاكل التربويَّة المتلاحقة والمتأزّمة بفعل التسارع في المتغيَّرات المادّية الرئيسيَّة وتأثيراتها على المتغيّرات غير الماديَّة كالقيم.

1 - للتوسع انظر معجم المعاني.

إطلالة على مواقع التواصل

إنَّ مواقع التواصل الاجتماعي أو الإعلام الاجتماعي social media sites، هي أدوات أو منصّات اتّصال تعتمد على شبكة الإنترنت، تتيح للأفراد التفاعل مع بعضهم البعض، من خلال مشاركة المعلومات. هي وسائط يتمّ من خلالها إرسال واستقبال المعلومات، وهي بمثابة قنوات لتخزين ونقل المعلومات، وتشمل هذه الوسائل مجموعة الاتّصالات السلكيَّة واللاسلكيَّة، كما تعمل وسائل الاتّصال الحديثة على تيسير عمليَّة التواصل بين الأفراد، على اختلاف الأزمنة والأماكن بينهم، مثل تناقُل المعلومات لمسافات طويلة من خلال البريد الإلكتروني، أو عقد المؤتمرات عن بعد؛ فهي تدخل في الأعمال والعلاقات الشخصيَّة وغيرها من العلاقات الاجتماعيَّة. ومن أشهر هذه المواقع:

WhatsApp واتس أب	Snapchat سناب شات
Twitter توتير	Instagram انستغرام
YouTube يوتيوب	Google+ جوجل بلس
Tik Tok تيك توك	LinkedIn لينكد إن
Telegram تلغرام	Pinterest بينتريست
MeWe مي وي	Wechat وي شات
(Facebook- META) فيس بوك أو ما بات يُعرف حاليًا بالميتافيرس	

تجدر الإشارة أنّ هذه المنصّات وغيرها، لديها العديد من الخصائص المشتركة، بالإضافة إلى مجموعة من الخصائص التي تنفرد بها عن سواها؛ وهذا ينعكس على المستخدمين أيضًا، فلكلّ منصّة جمهورها وقد يتقاطع مع منصات أخرى.

خدمات مواقع التواصل الاجتماعيّ

نشأت وسائل التواصل الاجتماعي في البداية كأداة استخدمها الناس للتفاعل مع الأصدقاء والعائلة، ولاحقًا تمّ استخدامها من قِبل الشركات التي رغبت في الاستفادة من طرق التواصل الجديدة والشائعة بين الناس للوصول إلى العملاء والغرض تسويقي، حيث تُوفِّر وسائل التواصل الاجتماعيَّة قدرة على الاتّصال، وتبادل المعلومات مع أيّ شخص على وجه الأرض، أو أعداد كبيرة من الناس المستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعيَّة أيضًا.

- **الفيس بوك-ميتافيرس facebook-meta:** هو أهم مواقع التواصل الاجتماعي وأكثر الشبكات الاجتماعيَّة استخدامًا على الإنترنت، يستخدمه حوالي مليار شخص للتواصل مع الأصدقاء القُدامى، والتعرّف على أصدقاءٍ جدد، وتتمثّل مهمّته في جعل العالم أكثر انفتاحًا واتّصالاً مع بعضه، من خلال ربط الناس وتسهيل التواصل فيما بينهم، ويَستخدم الأشخاص هذا الموقع لإنشاء ملفات تعريف شخصيَّة، وإضافة مستخدمين آخرين كأصدقاء لهم، ومشاركة المعلومات معهم بطرق عديدة ومختلفة.

- **تويتر Twitter:** هو موقع إخباريّ من مواقع التواصل الاجتماعيّ على الإنترنت، يتواصل الأشخاص فيه من خلال نصوص نصيَّة قصيرة تسمّى تغريدات tweets تقوم على مبدأ نشر نصوص قصيرة من مالك الحساب إلى المتابعين، ويستخدم بعض الأشخاص التويتر لاكتشاف أشخاص مميّزين بالنسبة إليهم، واكتشاف شركات، واختيار متابعة تغريداتهم، وهو يمتاز بإمكانية متابعة المئات من مستخدميه، وقراءة منشوراتهم بنظرة خاطفة.

- **إنستغرام Instagram:** يهتم بمشاركة الصور، ومقاطع الفيديو من الهاتف الذكيّ، وهو يشبه فيسبوك وتويتر من ناحية أنَّ إنشاء حساب عليه يُكسب المستخدم ملف تعريف خاصّ به، وتغذية أخبار على صفحته الشخصيَّة،

وعند نشر صورة أو مقطع فيديو عليه، فسيتم عرضه في ملف التعريف الخاص بالمستخدم، ليرى المستخدمون الآخرون المتابعون له مشاركاته في صفحة أخبارهم الخاصّة، كما يمكن رؤية مشاركات المستخدمين الآخرين الذين تم اختيار متابعتهم بطريقة مماثلة لذلك.

- **مي وي MeWe:** شبيهة بمنصَّة فيسبوك؛ أخذت تبرز في عام 2020 بعد سلسلة من فضائح بيع وتبادل المعلومات الشخصيَّة للمستخدمين (شركة أنالتيكا)[1]، فبدأت الهجرة من مواقع غير آمنة إلى أخرى ترفع شعار الخصوصيَّة، تقع مي وي في الصدارة حاليًّا من خلال وثيقة حقوق منشورة على موقعها تمنح بموجبها سيطرة كاملة على البيانات الشخصيَّة من قبل مُستخدميها[2].

- **تيك توك TikTok:** تتيح تنزيل ومشاركة فيديوهات قصيرة جدًّا مع إمكانيَّة دمج الصوت والنصوص معها وبإمكانيَّات بسيطة، وهذا ما عزّز انتشارها لتصبح ألد منافس للفيسبوك وغيره من المنصّات الأميركيَّة، دخلت المنصّة في 2020 كأحد النزاعات في الإعلام الدولي بين الصين والولايات المتحدة الأميركيَّة.

السمات العامة لمواقع التواصل الاجتماعي

تختلف مواقع التواصل الاجتماعي عن غيرها من الفضائيات؛ فالثانية لا شروط للاستخدام تتعلّق بالخصوصيّة، ويُقصد بالخصوصيّة البيانات الشخصيَّة للمستخدم تفصيلًا، ما يمكّن الجهات المستفيدة من البيانات المترابطة linked data التي تسمح بتتبّع تفضيلات واتّجاهات المستخدم وتوقع خياراته.

إنَّ مواقع التواصل تتطلّب وجود حسابات شخصيَّة للمستخدمين للولوج واستخدام المنصّات؛ كصفحة ملف شخصيّ في تقديم الفرد لنفسه ليمنح الحيز الافتراضي الخاص/ المواطن الافتراضي، وغالبًا ما يتضمن الملف الشخصيّ معلومات شخصيّة؛

1 - قامت الشركة ببيع البيانات الشخصيَّة للمستخدمين.

2 - تستحق دراسة منفصّلة كونها منافسة لفيسبوك.

مثل صورة الملف الشخصي، الموقع الإلكتروني، خلاصة المشاركات الأخيرة، آخر النشاطات، الأصدقاء، والمتابعون، والمجموعات، والهاشتاج؛ يستخدم الأفراد، من خلال هذه المعلومات، حساباتهم للتواصل مع المستخدمين الآخرين، كما يمكنهم استخدامها للاشتراك في بعض الخدمات المتاحة.

إنَّ مفاتيح الإعجاب وقسم التعليقات من أكثر السمات شيوعًا للتفاعل على المواقع الاجتماعيَّة، فيمكن مشاركة الأفكار وتحديث المعلومات أو حفظها أو نشرها؛ كما يمكن نشر نص قصير وتحميل صورة ومقطع يوتيوب ورابط لمقال أو كتاب وغيرها.

هذا ويرسل الموقع الاجتماعي إشعارات للمستخدمين حول معلومات محدّدة، كما يتمتّع المستخدمون بإمكانيَّة التحكّم وإدارة الإشعارات؛ من خلال اختيار نوع الإشعارات المرغوبة.

هذا العرض -بغية التعرف على الامكانات والوسائل- تجعل بيانات المستخدم مكشوفة للتحليل والتتبع، ولا يخفى الاستخدام الملحوظ لعلم الاجتماع السلوكي والتطوّر البحثي في هذا المجال، إضافةً إلى ذلك يمكن تصوّر المجتمعات الافتراضيَّة التي تشكّلت وتتشكّل وستتشكّل، وهذا هو المجتمع الشبكي الذي يتربصنا عند كل منعطف حسب تعبير بارني في كتابه المجتمع الشبكي (2015).

وهنا يتم استحضار سؤال أساسي عند الحديث عن وسائل التواصل، هل منصّات التواصل الاجتماعي هي وسائل إعلام؟ أم هي أبعد من ذلك بكثير؟

تأثيرات وسائل الاتّصال على الأسرة

عند استعراض بعض المنصّات، التي نظن أنّها من ضمن الأكثر تداولاً، نجد أنَّ الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي إلى الإدمان والتوتّر العصبي والغيرة والاكتئاب...، كما يمكن لها أن تتيح لأي شخص فرصة الوصول إلى جمهور من الملايين من خلال نشر محتوى يفتقر إلى الإشراف أو التحقّق من المعلومات فيه، ما يجعل هذا الفضاء غير حقيقي أو بعيد عن الحقيقة.

» إنَّ الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي إلى الإدمان والتوتّر العصبي والغيرة والاكتئاب...، كما يمكن لها أن تتيح لأي شخص فرصة الوصول إلى جمهور من الملايين من خلال نشر محتوى يفتقر إلى الإشراف أو التحقّق من المعلومات فيه، ما يجعل هذا الفضاء غير حقيقي أو بعيد عن الحقيقة.

يُعدّ إدمان الإنترنت من التأثيرات الاجتماعيَّة الناجمة عن قضاء الكثير من الوقت على الإنترنت وتصفّح المواقع المتعددة لساعات، ممّا يؤثّر على سير الحياة الاجتماعيَّة للأشخاص، وينطبق ذلك أيضًا على إدمان الهواتف المحمولة التي تصرف الأفراد عن البيئة الاجتماعيَّة وبالتالي العالم الحقيقي.

على الرغم من هذا العرض السلبي للمنصات، فإنَّ التأثيرات الإيجابيَّة تجعلها وسائل تواصل بين الأسرة بنسبة تقارب 42%، وذلك وفقًا للمسح الذي أجراه مركز بيو الأميركيّ بدراسة حول هذا الموضوع.) مشعل، 2018)

حيث يشير المسح إلى دور وسائل الاتّصال في تعزيز التواصل بين أفراد الأسرة البعيدين عن بعضهم البعض، ولا بد هنا من الإشارة إلى أنّ هذه النسبة لا يمكن تعميمها على كل المجتمعات، وهذه من أكبر الإشكاليَّات

التي تواجه الدراسات في الأخذ بنتائج لا تعمم [1]؛ إنَّ وسائل الاتصال الحديثة هي إحدى الوسائل الفعّالة للتواصل بين الآباء والأبناء في حالات الطلاق، وذلك من خلال اللقاءات الإلكترونيَّة.

أبرز ما تتوافق عليه التقارير والدراسات في التأثيرات السلبيَّة لوسائل التواصل الاجتماعي [2]:

1 - العلاقة بين الزوجين:

يمكن الحديث عن مجموعة من المخاطر التي تهدد العلاقة بين الزوجين والناتجة عن سوء استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

- **إنعدام الحوار:** إن تلاشي الحوار بين الطرفين وتعزيز العزلة هو من المخاطر الكبيرة التي تواجه العلاقة بين الزوجين، وينتج عنه عدم الفهم الصحيح لتصرّفات الزوج أو الزوجة والمشاعر السلبية وقلة الاهتمام والظن السيء.
- **الإهمال وقلّة الاهتمام:** فقد فئة من النساء تُسَمَّى (أرامل الإنترنت)، نتيجة إدمان أحد الزوجين لوسائل التواصل الاجتماعي، فقد يزهد الزوج في زوجته وتقلّ لحظات الاجتماع الأسريَّة، ويتلاشى التناصح فتصبح المرأة كالمطلّقة أو الأرملة؛ ومن هنا جاءت هذه التسمية.
- **عدم القناعة:** إنَّ عدم رضا الزوج أو الزوجة بسبب ما يراه أو تراه على هذه المواقع من صور تتسلل إلى العقل الباطني، ثم المقارنة بين تلك الصور وبين واقع الزوج وواقع الزوجة.
- **ازدياد الخيانات الزوجيَّة:** إنَّ الخيانة الزوجيَّة أصبحت في يومنا هذا سهلة جدًّا باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي وبناء علاقات مشبوهة مع أشخاص

1 - يهتم مركز بيو بالدراسات والبحوث الخاصة بالتقسيمات المذكورة، واحداها ومتاحة على الرابط: https://www.noonpost.com/content/38491

2 - يمكن مراجعة اصدارات مركز الحرب الناعمة.

خارج النطاق العائليّ، وهذا السلوك يطوّر حالة انفصال سَلِسة غير واعية عن الأسرة، وقد يصل الأمر إلى حدّ ممارسة الفاحشة أو مقدماتها.

- **ارتفاع نسبة الطلاق بسبب وسائل التواصل:** كشفت إحصاءات اجتماعيَّة، في أكثر من بلد عربي وغربي، عن ارتفاع حالات الطلاق والخلافات الزوجيَّة أمام محاكم الأسرة، وأكّد قانونيّون وجود أسباب عديدة تقف وراء تفاقم مشاكل الطلاق والخلافات الاجتماعيَّة في مقدّمتها مواقع التواصل الاجتماعي، التي تسببت في فضح خصوصيّات الحياة الزوجية، ونشرت الكثير من المشاكل بين طرفي العلاقة الزوجيَّة بدوافع الانتقام أو التشفي أو التشهير أو الإيذاء، أو عدم الاهتمام بالبيت وإهمال شؤون المنزل والأسرة، فالزوج الذي يجلس إلى جانب زوجته دون أن يعيرها أي اهتمام ويسهر ساعات يتحدّث ويتعامل مع عالمه الخاصّ دون اكتراث بالزوجة أو العكس يخلق مشاعر سلبيّة وخلافات قد تنتهي بالطلاق؛ كلُّ هذا كان سببًا في الطلاق وكثرته وتُعد شبكة التواصل الاجتماعي الإلكتروني خاصة «فيسبوك» و»الواتس اب « على رأس هذه الأسباب.

2 - العلاقة مع الأبناء:

- **خطر تغيير الهويَّة:** تُعدّ وسائل التواصل الاجتماعي مدخلًا لتغيير الهويَّة الثقافيَّة للطفل والمراهق، لأنَّها عبارة عن مجتمع مفتوح على جميع الثقافات والعقائد، مما يشكّل خطرًا على هويّته التي قد تصبح هجينة. ومن جهة أخرى تؤثّر هذه الوسائل سلبًا على قدرة التواصل مع الأسرة التي ترى الأساس في نقل ثقافة المجتمع إليه، وغرس قيم ومبادئ الإسلام، كما تحدّ من امتلاكه لمهارات التواصل وتكوين العلاقات الشخصيّة التي قد ينشأ منها عدم الاهتمام في المجتمع وإهمال صلة الأرحام. إضافة إلى خطر تعرّضه لثقافة الانحلال والفساد وإمكانيَّة وصوله إلى محتويات لا تناسب عمره، اذ يلعب الإنترنت دورًا سلبيًّا في تفكير الطفل وشخصيّته، من خلال انتشار

المواقع الإباحيّة التي تؤثِّر مُشاهدتُها في السنّ المبكرة، ليس فقط على نموّ فكر الطفل، بل أيضًا على سلوكيّاته وتصرفاته مع الآخرين.

تُعدّ وسائل التواصل الاجتماعي مدخلًا لتغيير الهويَّة الثقافيَّة للطفل والمراهق، لأنَّها عبارة عن مجتمع مفتوح على جميع الثقافات والعقائد، مما يشكّل خطرًا على هويّته التي قد تصبح هجينة.

- **المخاطر الجسديّة:** الإفراط في استخدام هذه التقنيّة، وما يتعلّق بها من أدوات ووسائل، قد يصيب الأطفال بخمولٍ جسديٍّ يتمثّل في أمراض عضويّة، كالسمنة الناتجة عن قلة الحركة، والأمراض في الأطراف خاصةً، نتيجة استعمالها للعب واستخدام الهواتف الذكيّة.
- **المخاطر الذهنيّة:** إنّ نمو التفكير التّخيُّلي عند الأطفال في سنّ الخامسة غاية في الأهميّة، إذ يُشكّل الخيال المرتبة الثانية في التفكير الإنسانيّ بعد المرتبة الحسيّة؛ على أنّ الأطفال لا يصلون إلى المرتبة التجريدية إلّا بعد المرور بالمرتبَتَين السابقتَيْن. إنّ الاستخدام المفرط للتكنولوجيا الحديثة، بعد الساعات الطويلة التي يقضيها الأطفال أمام جهاز الحاسوب أو غيره من أدوات التواصل الاجتماعي، كلّ ذلك يُضعِف هذه القدرة النمائية والذهنية، التي تُمثّل مستوى التفكير التجريدي عند الإنسان؛ ذلك لأن هذه الأدوات والوسائل تُوفِّر جانبًا كبيرًا من قدرة الخيال عند الأطفال بطريقة آلية، بغضّ النظر عن رغبة الأطفال. ويتعرّض الأطفال لمتلازمة الإنهاك المعلوماتي، وذلك بسبب كثرة المعلومات التي يتعرّضون لها، وعدم قدرتهم على التأكّد من صحتها؛ إنّ الأثر السلبي لكميّة المعلومات الزائدة التي يحصل عليها بعض البالغين، مثل متلازمة زخم المعلومات، قد يُسبّب للطفل أو المراهق تشويشًا وعدم توازنٍ معرفيٍّ، تتمثّل في العواقب التي يواجهها الأطفال، بسبب ما شاهدوه على الإنترنت، حيث يصبحون أقلّ قدرةٍ

على التمييز بين ماهو واقعي، وما هو غير ذلك؛ كما أنّهم غير قادرين على تطبيق الواقع في العالم الافتراضي لينتج عنها برودة في المشاعر تجاه الأحداث الواقعية.

- **المخاطر النفسيَّة:** إنّ امتلاك الأطفال لوسائل التكنولوجيا، بما فيها الشبكة العنكبوتيَّة، ووسائل التواصل الاجتماعيّ، حيث يقضون ساعات طويلة أمام جهاز الحاسوب، ممّا قد يصل إلى حدِّ الهوس أو الإدمان، ما يشكل خطرًا على حياته النفسيَّة؛ فالأطفال معرّضون أكثر من غيرهم للشعور بالاكتئاب، بسبب هذه التقنيّات ووسائلها، التي تعزلهم عن الحياة الحقيقيَّة والتواصل الفعليّ مع الآخرين، وتخلق لديهم شعورًا بالبعد والجفاء.

» امتلاك الأطفال لوسائل التكنولوجيا، بما فيها الشبكة العنكبوتيَّة، ووسائل التواصل الاجتماعيّ، حيث يقضون ساعات طويلة أمام جهاز الحاسوب، ممّا قد يصل إلى حدِّ الهوس أو الإدمان، ما يشكل خطرًا على حياته النفسيَّة.

- **المخاطر السلوكيَّة:** يساهم الإنترنت في زيادة العدائيَّة في سلوك الأطفال، وذلك بسبب ممارسة الألعاب العنيفة أو مشاهدة الصور والأفلام العنيفة، التي تُروِّج على الإنترنت؛ كما يؤثِّر استخدام الإنترنت في سلوك وأخلاقيَّات الطفل، حيث يتيح الإنترنت أعدادًا هائلة من الألعاب الإلكترونيَّة، التي قد تترك أثرًا سلبيًّا في سلوكيَّاته الأخلاقيَّة، كلعبة القمار مثلًا. بالإضافة إلى ذلك، فقد أثبتت العديد من الدراسات وجود ارتباط قويّ بين تعرّض الأطفال للمواد الإباحيَّة والسلوك الجنسيّ المنحرف.

» يساهم الإنترنت في زيادة العدائيَّة في سلوك الأطفال، وذلك بسبب ممارسة الألعاب العنيفة أو مشاهدة الصور والأفلام العنيفة.

المخاطر التربويّة:

- **الأخطاء الإملائية:** أدّى الاعتياد على استخدام نوعٍ محدّدٍ من الكتابة والصياغة في برامج التواصل، إلى خلق مشاكل في الإملاء واستخدام عبارات عاميَّة؛ ولم يقتصر ارتكاب هذا الخطأ والتأثيرات السلبيَّة على الأطفال فقط، بل توسّع ليشمل طلاب الجامعات أيضًا؛ ومن النتائج الفوريَّة لهذا النوع من العلاقة السلبيَّة مع اللغة وتعابيرها وأصولها، ركاكة الكتابة الجامعيّة وضحالة بحوث الدراسات العليا، وبالتالي تدنّي، بل انهيار اللغة أمام التحدّيات الحضاريَّة والتقنية الحديثة.
- **السهر:** يؤدّي السهر الطويل في تصفّح مواقع الإنترنت إلى تأخّر العديد من تلامذة المدارس، وطلاب الجامعات في واجباتهم العلميّة والتحصيليَّة.
- **ضعف المستوى الدراسي:** أدّى الإدمان على مواقع التواصل الاجتماعيّ إلى تراجع مستوى التحصيل الدراسي لدى الأبناء بسبب التخلي عن المطالعة والاستذكار.

أبرز ما تتوافق عليه التقارير والدراسات في التأثيرات السلبيّة لوسائل التواصل الاجتماعيّ:

هذا وتختلف التأثيرات الايجابيّة أو السلبيّة من مجتمع إلى آخر ومن أسرة إلى أخرى ومن جيل إلى آخر؛ وهكذا فإن السلوكيَّات المرتبطة تصنّف وفق التقسيم الجديد للأجيال؛ الذي قام على أساس استخدام التكنولوجيا؛ وهو أجيال X, Y, Y.

تصنيف الأجيال

يُشار إلى جيل الألفيَّة عند الحديث عن الفئات العمريَّة واستخداماتها لتكنولوجيا المعلومات؛ فالمواليد بعد العام 1980، المعروف باسم جيل واي، هو أكبر جيل منذ مواليد الخمسينيّات، ويقدّر عددهم بنحو 2.5 مليار عالميًّا من المجموع الكلّي

للسكان، البالغ أقل بقليل من سبع مليارات نسمة، بينما يُقدّر عددهم في العالم العربيّ بنصف العدد الكليّ للسكان تقريبًا [1].

ما هي بقية التقسيمات؟

1) **الجيل X:** جميع مواليد فترة بين 1960 – 1979 وهو الجيل الجد للأجيال التالية.

2) **الجيل Y:** جميع لمواليد 1980 – 1994 ويُطلق عليه جيل الالفية Millennial.

3) **الجيل Z:** جميع مواليد 1995 ولغاية الآن وهو الجيل الحالي والقادم.

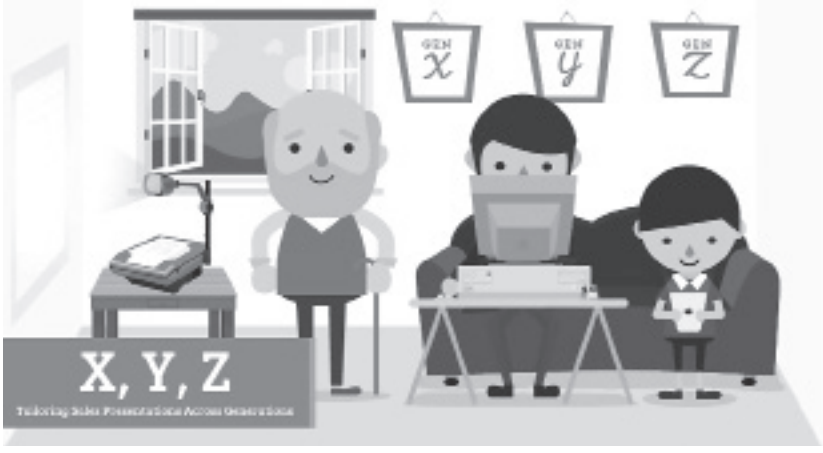

المؤشر الأساس في التقسيمات هو استخدام شبكة الانترنت بشكل واسع، وأبرز ما يميّز الجيل الأصغر أي جيل Z، هو الاندماج والتمكّن من استخدام التكنولوجيا [2]. كما أنَّ التواصل على مواقع التواصل الاجتماعي يشكّل حيّزًا مهمًّا في حياتهم اليوميَّة؛ فهذا الجيل لم يعرف العالم من دون الإنترنت، فالإنترنت بالنسبة له ليس مجرّد أداة، بل عالمه ومكان تبادل تجاربه وطريقته في استيعاب الحاضر.

1 - Relias, What Makes Millennials Unique?, By John Jay, on January 14, 2019.

2 - إنَّ هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة مستقلة في البيئة الخاصة.

إنّ الإطلالة المختصرة على الجيل الحالي، هو من الضروريَّات لمعرفة سماتهم والفروقات الأساسيَّة في التواصل بين أجيال العائلة الواحدة، وما هي أسباب ركون هذا الجيل إلى العالم الافتراضي، بالنسبة لجيل الألفيَّة وبالنسبة لجيل Z هو العالم الواقعي. هذا لا يقفل الباب على وجود قسم من جيل الألفيَّة يعيش العالم الافتراضي أيضًا لتوفر شروط مساعدة، كالبطالة والوصول إلى مرحلة التقاعد والاغتراب العائلي. ويُرجع سيمون سينيك، أشهر مدرب تحفيزي Coach لهذا الجيل، الأسباب إلى التربية أولًا ومن ثم التكنولوجيا.

مميّزات الفضائيَّات:

تعود أوّل إشارة تلفزيونيَّة فضائيَّة نُقلتْ من قارة أوروبّا عبر قمر تلستار إلى كافّة أجزاء قارة أمريكا الشماليّة خلال عام 1962م. انتشرت القنوات الفضائيّة على نطاقٍ واسع من العالم خلال أواخر القرن المنصرم الذي شهد وجود مئات القنوات، مع وجود مجموعة من الشروط كي تستطيع القناة الفضائيّة البثّ، وهي:

- **مراكز البثّ:** يحتوي كلّ مركز على مجموعةٍ كبيرة من البيانات التي تصلُ قدرتها إلى 2700 ميغا بايت في الثانية، لنقل الإشارة بسرعة ومن دون عوائق.
- **التشفير والبث:** يجب على المزوّد بتشفير الفيديو، وضغطه؛ وذلك كي يمنع وصوله إلى الآخرين مجانًا، من خلال مزج التشفير مع البيانات ذات الطبيعة الرقميّة، ثمّ تحويلها إلى بيانات يُمكن استخدامها.
- **الطبق/اللاقط:** هو نوع خاص من أشكال الهوائيّات، مصمّم بهدف التركيز على مصدر معيّن للبث، يتم من خلاله استقبال الإشارات من القمر الصناعيّ.
- **جهاز الاستقبال:** هناك العديد من الوظائف لهذا الجهاز مثل فكُ التشفير، وإجراء التعديلات.

لم تعد هذه المعلومات التقنية مشروطة من قبل الشركات الضخمة، فالتطور التكنولوجيّ أحدث نقلة نوعيّة - كما في عمل الإعلام التقليدي- كذلك في القنوات الفضائيَّة؛ فالتلفاز لم يعد شاشة العرض الوحيدة، بل أُضيف إليه، من خلال التطبيقات الإلكترونيَّة، شاشات عرض بمتناول الغالبيَّة العظمى، كما احتل الهاتف، ولكن بتقنيَّة وجودة عالية، الشاشة الفضلى للألعاب الإلكترونيَّة ومشاهدة الأفلام والمسلسلات والتواصل ومن ثم الاتّصال، وعُرف لاحقًا بـ»الشاشوي» نسبةً إلى الشاشة.

حدثت هذه الميّزات بتسارعٍ ما جعل المجتمعات أمام أسئلة كبيرة عند جيل الألفيَّة، فيما كان جيل Z يقومٍ بالتطبيق والممارسة واكتساب المهارات، من دون أي دور أو توجيه من الأسرة ومن غالبيَّة المدارس؛ وبالتالي التنشئة الاجتماعيَّة كانت بعيدة، بخاصّة في المجتمعات المستهلكة لهذه التقنيات، فيما كانت الشركات تُطوّر الأجهزة الصلبة والبرامج الليّنة بتخطيطٍ موجَّه.

Brain ware_ software_hardware

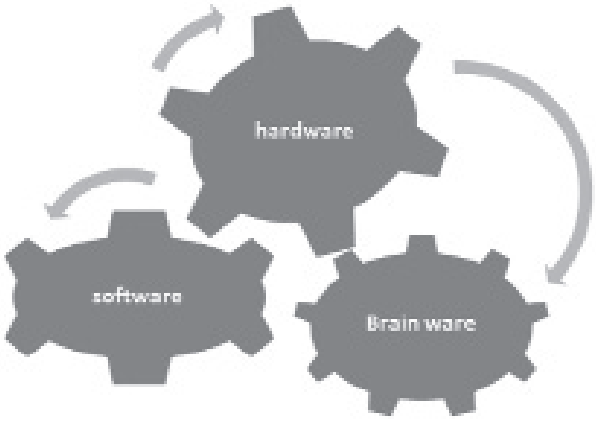

أمَّا المجتمعات المستهلكة فكانت تقوم بالعكس، وما زال معظمها كذلك. وتجدر الإشارة إلى أنَّ القنوات الفضائيَّة العربيَّة، بخاصّة مجموعة «MBC»، هي الوسيط في نقل الثقافة الأمريكيَّة ونمط الحياة الأمريكيّة إلى العالمين العربيّ والإسلاميّ.

كما تتّسم هذه القنوات الفضائيّة بصفة السعة والشمول وتقديم محتوى إعلامّي متنوع (سياسي، اقتصادي، رياضي، سينمائي، ترفيهي...)، محتَّوى يُبث على مدار ساعات اليوم ويروّج لقيم وأفكار وأنماط الحياة الأميركيَّة، بل تُعّد هذه القنوات الفضائيّة رائدة في إدخال الثقافة الغربيَّة إلى المجتمعات العربية.

قيم تطال الأسرة:

نجد أنَّ ما يُعرض على الفضائيات من برامج تطال الأسرة بشكل مباشر من خلال:

- قيم البرامج المستنسخة:

- إهانة المرأة وجعلها سلعة، وتقديم صورة عنها كونها تافهة وسطحيَّة.
- تقديم صورة جديدة للعلاقة بين الجنسين كإباحة العلاقات الغراميَّة قبل الزواج.
- حصر الزواج بالجانب الماديّ والجسدي.
- كسر حاجز الحياء والعفة.
- عرض إثارات وإيحاءات جنسيَّة وألفاظ بذيئة.
- نشر مفاهيم غربيَّة مثل المساكنة والتحرر من قيود الأهل والمجتمع وثقافة الفضائح.

- قيم المسلسلات المدبلجة:

- العلاقات المحرَّمة والزواج المدني والشذوذ الجنسي.
- المساكنة والصداقة بين الجنسين والإجهاض.
- تمرد الأبناء واستقلاليَّة الأبناء عن الأهل.
- الأزياء والألبسة غير محتشمة.

- ترويج فكرة المساواة بين الرجل والمرأة والحرية غير المقيّدة بخاصة للفتيات.
- تفضيل العمل على الأمومة.
- التهرّب من الواجبات العائلية وتبرير للخيانة الزوجيّة.

بعض البرامج الحواريَّة في الفضائيّات اللبنانيّة:

أ - أحمر بالخط العريض (نموذج 1) [1]

برنامج لبناني حواري يطرح قضايا وحوادث موجودة في المجتمع اللبناني خاصة. يُعرض على شاشة المؤسَّسة اللبنانيّة للإرسال، يقدّمه الإعلامي مالك مكتبي، عُرِض للمرّة الأولى في 19 اذار 2008.

يتناول «أحمر بالخطّ العريض» قضايا اجتماعيّة ودينيّة مختلفة، فيأتي بنماذج عاشت تجارب مُعيَّنة، يُعرض فيه وجهتي نظر في أغلب الأحيان، فيحاول المقدّم أن يظهر بمظهر الموضوعيَّة والحياديَّة، لكن عادةً ما تكون الغلبة في الحوار لمن يتبنى المقدّم وجهة نظره وذلك بحسب ما يُعِدّه من أسئلة حواريّة ونقاش موجَّه. لا يهدف البرنامج إلى المعالجة أو تقديم الحلول وإنما تغليب وجهة نظر على أخرى، مستهدفًا بذلك كلّ ما يمت إلى قيم الإسلام بصلة. وما يميّزه عن غيره من البرامج أنَّه لا يأتي بأيّ مختص في مجال الموضوع المناقش- خاصة القضايا الدينية المتعلقة بالدين الإسلامي-، فلا يستضيف البرنامج أي عالم من علماء الدين كي يعرض وجهة نظره أو وجهة نظر الدين، بل يقتصر على المدعوّين أصحاب القضيَّة المطروحة وغالبًا لا يكونون من أهل الفكر أو الثقافة فيظهرون أثناء الحوار بمظهر العاجز، وبالتالي تظهر القضيَّة المطروحة أيضًا عاجزة أمام وجهة النظر الأخرى.

1 - موقع تلفزيون المؤسَّسة اللبنانيّة للإرسال LBC.

من العناوين المُناقشة في هذا البرنامج:

زواج القاصرات- الحضانة- زواج المتعة- الخيانة الزوجيَّة- الزواج المختلط بين الطوائف- تعدّد الزوجات- العنف الزوجي- النظرة الدونيّة لبعض الرجال إلى زوجاتهم- الزواج بين القلب والعقل- الزواج تحت الضغوطات الاجتماعيَّة- الأعباء الاقتصاديّة على الأسرة- ظاهرة العنف ضد المرأة.

ب - أنا هيك (نموذج 2) [1]

برنامج حواري يُعرض على قناة الجديد، يُقدِّمه الإعلامي نيشان ديرهاروتيونيان.

تقوم فكرة البرنامج، كما تظهر من عنوانه، على أساس التمرَّد على قيم الدين والمجتمع، والدعوة الصريحة إلى الرذيلة التي يتمّ تصويرها كمثال يُقتدى به لجيل الشباب على وجه التحديد، مع جرأة كبيرة من الضيف/ة الذي قد يكون متحول جنسيّ أو تكون سحاقيَّة أو بائعة الهوى.

إنَّ ما يقدّمه هذا البرنامج من خلال حلقاته هو إسفاف وتفاهة وكمّ هائل من الجنس والإثارة والمساكنة والتعرّي وخلع الحجاب، وغيرها من البرامج التي تهدف إلى ضرب القيم وتحطيم الأسرة، بالإضافة إلى تسجيل أعلى نسبة من المشاهدة مصحوبًا بهاجس الرايتينغ وجذب الانتباه، والجدير بالذكر أنّ قناة «الجديد» لم تقدّم في برامجها الحواريَّة إلّا ما هو فاسد وغير محترم بهدف الولوج إلى البيئة الخاصة للمقاومة.

من العناوين المناقشة في هذا البرنامج:

المتحولون جنسيًا- السحاق- التعري- خلع الحجاب- الجنس قبل الزواج- المساكنة- فقد غشاء البكارة- الاغتصاب- العنف الزوجي- المخدرات.

1 - موقع تلفزيون الجديد.

نتفليكس مثال الشركات الإعلاميَّة الضخمة

قبل الخوض في مقاربة النظريَّات المفسّرة وأهميّتها في التأصيل النظري، الذي من الممكن أن يساعدنا في الفهم المعرفيّ لتطوير دراسة معرفيَّة-ابستمولوجيَّة، سنتعرّض إلى أشهر الشركات في الوسط الإعلاميّ كمثال على السطوة الإعلاميَّة المتضخّمة؛ وهي شركة نتفليكس Netflix.

نتفليكس هي شركة ترفيهيّة أمريكيّة يعود تأسيسها إلى العام 1997 في كاليفورنيا، وكانت مزوّد خدمة البث الحي والفيديو حسب الطلب on demand وتوصيل الأقراص المدمجة عبر البريد. توسعت لاحقًا، في عام 2013، فدخلت مجال إنتاج الأفلام والبرامج التلفزيونيَّة، وتوزيع الفيديو عبر الإنترنت.

منذ العام 2016، باتت الشركة توفّر خدماتها حول العالم في أكثر من 190 دولة [1]، ومنها الدول العربية بواجهة مستخدم مع إمكانيَّة تشغيل الترجمة العربيَّة للأفلام والمسلسلات (ويكيبيديا، 2020).

بعد نتفليكس ليس كما قبله، إذ تحوّل التلفزيون والقنوات الفضائيَّة في نظر البعض إلى مجرّد موروث وتقليد اجتماعيّ يصارع للبقاء كما عبّرت السكري (2020)، وانحسرت فئات مشاهدته بكبار السن. تُعد خدمة «نتفليكس» أحدث الصيحات التي تهدّد عالم الفضائيَّات، وربما «يوتيوب» والمشغّلات الأخرى، لمميّزاتها العديدة، وفق شهادة مستخدميها، فقد استطاعت أن تحقّق نجاحًا كبيرًا في جذب المتابعين، حتى بلغ عدد المشتركين على موقعها في العام 2019 أكثر من 125 مليون مشترك ينفقون أكثر من 120 مليون ساعة في مشاهدة محتوى الموقع يوميًا، من جميع دول العالم، وفق إحصاءات «نتفليكس» نفسها. وذكر موقع CNN، أنَّه ازدياد أعداد المشتركين في خدمة Netflix ونجاح وانتشار هذه الخدمة جاء بسبب تخلّي الناس عن التلفزيون التقليديّ، والتوجّه إلى البث الحي المريح، وأسعار الاشتراك المعتدلة، مقارنة بمنافسيها.

1 - ما عدا سوريا بسبب العقوبات الأمريكية عليها.

توسّعت خدمة نتفليكس بمساعدة من أجهزة التلفزيون الذكيَّة، وأجهزة فك التشفير، وأجهزة ألعاب الفيديو، والأجهزة الأخرى، ما جعل من السهل على المستخدمين الوصول إلى محتوياتها بسهولة. ولَم يغب تواجد «نتفليكس» عربيًّا، فمنذ انطلاق خدماتها في منطقة الشرق الأوسط، بدأ الإقبال يتزايد عليها، بخاصّة من فئتَي الشباب والأطفال. واكتسبت المزيد من التأثير في المنطقة، حيث توصّلت التحليلات إلى حقيقة مفادها بأن 22% من مستخدمي الإنترنت في الشرق الأوسط يستخدمون Netflix.

يعود تفوّق Netflix على منافسيها إلى أسباب عدّة، أبرزها أنَّ الاشتراك فيها سهل للغاية وغير مكلف على الإطلاق، فلا يتطلّب تكلفة شهريَّة مرتفعة، مع أشهر مجانيّة في أوقات العروض، كما يمكن من خلال الاشتراك فتح حسابات مختلفة على أجهزة متعدّدة، ما يمكّن عددًا كبيرًا من الأسرة من متابعة أكثر من مسلسل في الوقت ذاته.

وأشار المشتركون إلى أنَّ التطبيق يتيح عرض مضامين جديدة وغير مُستهلكة، كما أنَّه يبثّها بجودة عالية ومن دون فواصل إعلانيَّة كثيرة، كما يحدث عند المشاهدة على التلفاز أو تطبيقات التشغيل الأخرى، ناهيك عن مرونة العرض التي تتاح في مثل هذا النوع من الخدمات؛ ما يمكّن الفرد من مشاهدة ما يريده وقتما يشاء من دون الارتباط بوقت محدد.

أمّا التحذيرات فكانت من قبيل الأسباب التالية:

- التطبيق ضعيف الرقابة، كغيره من إفرازات التكنولوجيا وانفتاح العصر، ويجعل الأطفال والمراهقين معرّضون لمضامين لا تناسب أعمارهم، كمقاطع الرعب والمشاهد المخلّة بالأدب والذوق وغيرها.
- يستهلك الوقت بشكل كبير، لأنَّ المسلسلات التي تُعرض عليه متاحة بشكل كامل، حيث يقضي المُشاهد ساعات طويلة في متابعة الأفلام، الأمر الذي يؤثّر فيه صحيًّا وجسديًّا وعقليًّا واجتماعيًّا.

- يرى المختصّون في مجال علم النفس وعلم الاجتماع أنَّ التدفّق المستمر للعروض الجديدة على Netflix ومواقع بث الفيديو عبر الإنترنت الأخرى يعمل على جذب «المشاهد الشره» من جميع أنحاء العالم، وربما يصرفه عن مهامه اليوميَّة، فلم يعد الناس يشاهدون حلقة واحدة فقط من برنامج معيّن كل أسبوع، بل يشاهدون الآن المسلسلات التلفزيونيّة والأفلام على الإنترنت بطريقة تغيّر طريقة قضاء وقتهم.
- تؤثّر المشاهدة سلبًا على تواصلهم اليوميّ مع أسرهم ووظيفتهم ودراستهم. كما يبرر الناس قضاء الوقت في المساء أمام التلفزيون أو الكمبيوتر لأسباب عديدة منها، تخفيف التوتر من يوم عمل شاق أو مجرد قضاء بعض الوقت أثناء الليل أو الهروب من الواقع لدرجة انهم يفقدون الوقت.
- تبعًا للتقارير، فإن المراهقين والبالغين، وحتى الأطفال، يتأثّرون بما يطلق عليه «تأثير Netflix»، ما يؤثّر في دراسته أو التأخّر في العمل ويعيق نشاطهم، وبالتالي يؤدّي إلى زيادة الوزن، والعيش في عزلة اجتماعيَّة.

يرى محمود الهاشمي أستاذ الإعلام في جامعة الكويت أنّ الإعلام الرقمي يشهد تطورًا ملحوظًا وسريعًا، ما شكل منافسًا قويًّا للإعلام التقليديّ، كما أنَّه خلق أجيالًا شبابيَّة تعتمد عليه لما يوفره من سهولة مشاهدة الأفلام وتحميلها في أي مكان وزمان. كما أكّد أنّ هذه الخدمة لها جمهور واسع وأنّ نسبة كبيرة من المشاهدين لديهم حسابات في «نتفليكس»، لا سيما الشباب، كونهم يفضّلون التحكّم في وقت المشاهدة بخلاف كبار السن الذين يميلون إلى الجلوس أمام شاشات التلفزيون ومتابعة الفضائيات (القبس، 2021).

كما أوضح الهاشمي أنَّ «نتفليكس» هي خدمة مشاهدة فيديو بحسب الطلب، سواء أكان أفلامًا أو مسلسلات من كلّ التصنيفات ولكلّ الأعمار وحتى مع الترجمة، مبينًا أنّها تعمل عن طريق الإنترنت وتعمل على كل الأجهزة المعروفة تقريبًا.

فتحت نتفليكس نافذة للإطلالة على معظم دول العالم بمختلف ثقافاتها ولغاتها،

من خلال شراء حقوق النشر فيتمّ العرض لفترة زمنيَّة محدّدة لمدّة معيّنة، ومن ثمّ يتم تقييم العروض التلفزيونيَّة أو الأفلام بعد انتهاء حقوق العرض. تتيح هذه الخدمة للمشاهد حريَّة اختيار لغة الترجمة المتوافرة في المنصَّات، إضافة إلى اتّخاذ إجراءات معيّنة حيال بعض العروض التي قد تكون غير مناسبة بالنسبة إلى بعض الدول إضافة الى إعادة عرض العروض ذات نسبة المشاهدة العالية وإتاحة الفرصة للمشاهد لإعادة متابعة عروض الأفلام في أوقات غير الذروة بالسرعة والوضوح المطلوب، كما توفّر «نتفليكس» عدّة خيارات عمريَّة تأخذ بعين الاعتبار الاختلافات بين الأطفال، واليافعين، والمراهقين والكبار.

إنّ المزايا السالفة تشكّل مصدر جذب للكثير من المشاهدين وتساهم في فقدان العديد من الفضائيات التقليدية جمهورها وغياب المنافسة إلى حدّ كبير لصالح الشركات الضخمة كنتفليكس وغيرها مقابل الفضائيَّات العربيَّة الضحلة.

إنَّ استعراض سريع للفضائيَّات وشركات الترفيه الضخمة، تكون الفضائيَّات في المرتبة الثانية لتهديد البيئات الاجتماعيَّة العامّة والخاصّة، لأنَّ الشركات الضخمة تعمل ضمن منظومة متمكّنة تكنولوجيًّا واقتصاديًّا، وهذه المنظومة تُدار دوليًّا وتُستخدم كأحد الأذرع الخارجيَّة لهذه الدول وضمن السياسة الخارجيَّة وفق مصالح هذه الدول (صديق، 2016).

الهاتف الذكي يقصي التلفزيون:

إنَّ أهم عامل في هزيمة التلفزيون أمام الهاتف الذكي، أنَّ الأخير فيه عنصر التفاعل الذي يتيح للمستخدم أن يكون فاعلًا ومحركًا في مساحة واسعة من الأنشطة المختلفة، بينما التلفزيون له جهة واحدة هي جهة التلقين، وقد ذكرت الكثير من التقارير والدراسات عن تجاوز الهاتف الذكي للتلفزيون في وقت المشاهدة.

عناصر غلبة الهاتف الذكي على التلفزيون:

- يتيح الهاتف الذكيّ للمستخدم الوصول إلى الإنترنت، وإرسال الرسائل،

والتقاط وإرسال الصور.

-يتيح للمستخدم الوصول إلى مواقع البحث.

-يتيح للمستخدم الوصول إلى البرامج التلفزيونيَّة والسينمائيَّة، ومشاهدة الأفلام ومقاطع الفيديو.

-يتيح للمستخدم الوصول إلى المواقع المتعدّدة والمتنوّعة لوسائل التواصل الاجتماعيّ وما فيها من تفاعل.

-يسمح للمستخدم بتخزين المواد الإلكترونية من صور وفيديوهات.

-يتيح للمستخدم جميع الأعمال المتعلّقة بالتجارة والاعلانات.

تصنيف الإشكاليَّات:

إنَّ هذا التبرير ليس بالبساطة التي يبدو عليه – سياسة إعلاميَّة ضمن السياسة الخارجيَّة- فمن خلال البحوث يأتي تفسير ذلك بطفرة من النظريَّات العابرة للعلوم، سواء التطبيقيَّة أو الإنسانيَّة، نحن بصدد التكنولوجيا والإعلام، وإذا ما صنّفنا الإشكاليَّات الكبيرة إلى معادلتين فنحصل على التالي:

- **المقاربة الأولى:** التكنولوجيا في الاتّصالات ـ الحتميَّة التكنولوجيَّة:

Technology – in - communication

- **المقاربة الثانية:** التكنولوجيا كالاتصالات – الحتميَّة الاجتماعيَّة:

Technology – as – communication

تبدو هاتين المقاربتين في نظريتين مفسرتين للكثير من الإشكاليَّات، وبالتالي لا يمكن إغفالهما عن التفسير للفهم المطلوب لهذا الاندماج بين الإعلام والتكنولوجيا.

تفسير النظريَّات المرتبطة بالدراسة

يُجمع بين مصطلحيّ «الحتميَّة الاجتماعيَّة» و«الحتميَّة التكنولوجيَّة» مصطلح «الحتميَّة»، وهو مصطلح فلسفيّ والذي يدلّ على الأسباب الكامنة وراء الأشياء وحتميَّتها؛ والذي تُعرّفه موسوعة بريتانيكا Encyclopedia of Britannica 2020 «هو نظريَّة تتضمّن كافّة الأحداث بما فيها الخيارات الأخلاقيَّة، والتي يتمّ تحديدها بالكامل من خلال أسباب موجودة مسبقًا».

وبالتالي بعد «الحتميَّة» نقف أمام مجالين، المجال الاجتماعي والمجال التكنولوجي؛ وهما من النظريَّات القائمة في العلوم المختلفة، وذلك لأهميّة النظريَّات في المجال الاتّصالي.

ومن هنا تأتي أهميَّة معرفة نشأة كلّ من النظريتين؛ الحتميّة الاجتماعيَّة والحتميَّة التكنولوجيَّة، والكشف عمّا إذا كانتا امتدادًا لبعضهما البعض، ومعرفة الاختلافات بين النظريّتين، كونهما مفسّرتين للواقع غير الجلي تمامًا؛ إن وسائل التواصل والفضائيَّات هي من وسائل الحرب الليّنة على المجتمع عامّة والأسرة خاصّة.

أوَّلًا: نظريَّة الحتميَّة الاجتماعيَّة Social Determinism Theory

تُعرّف الجمعيَّة الأميركيَّة لعلم النفس (APA, n.d.) American Psychology Association «الحتمية الاجتماعيَّة» أنّها «النظريَّة أو المذهب الذي يرى السلوك الفردي محدّد من خلال الأحداث الاجتماعيَّة والتجارب الشخصيّة».

بينما يُعرّف أوكسفورد ريفرنس (2020) Oxford Reference الحتميَّة الاجتماعيَّة أنّها «النظريَّة التي تدرس العلاقة بين المجتمع والتكنولوجيا أو الإعلام، ويرفض منظّرو الحتميَّة الاجتماعيَّة الأولويَّة السببيَّة التي يعطيها كلّ من منظري الحتمية الألسنيّة والحتميَّة التكنولوجيَّة.

ترى النظريَّة أنّ التفاعلات الاجتماعيَّة والبناء الاجتماعي هي التي تحدد سلوك الفرد، ويمكن فهم هويّة الفرد أحيانًا من خلال الحتميَّة الاجتماعيَّة للأفراد. كما تُعد الحتميّة الاجتماعيَّة واحدة من ثلاثة تفسيرات أساسيَّة للسلوك البشري، والتفسيرات الأخرى هي الإرادة الحرة والحتميّة البيولوجية (Levite, 1996).

إنَّ غالبيَّة الأدبيات التي تذكر الحتمية الاجتماعيَّة تضعها مقابل الحتمية البيولوجية كونها العكس في المعنى، وحول هذه الفكرة تذكر ليفيت Levite 1996 أنّ هذه النظريَّة هي مذهب يقوم على فكرة أنّ الإنسان يفكّر ويفعل وُفق أوضاعهم الاجتماعيَّة وليس وفقًا لجيناتهم أو إرادتهم الحرّة في الاختيار، وبالتالي أفعال الأفراد لديها أسباب اجتماعيَّة واضحة.

اشتهرت نظريَّة الحتميَّة الاجتماعيَّة في عدد من فروع العلوم الاجتماعيَّة، إذ تكلّم إميل دوركايم Durkheim عنها من خلال موقفه التالي «أنّ التمثيل الجمعي، العواطف والميول، لا تنتج عن حالات الوعي الفردي، بل من خلال المجموعات الاجتماعية..» (Sun, 2001) ورأى دوركايم أنّ للعلاقة بين المجتمع والفرد عدّة معاني، والتي تمثّلت في أنموذجين (Lehmann, 1994):

- **الأنموذج الأول:** العلاقة السلبيَّة بين المجتمع والفرد، وهي علاقة التحكّم المجتمعي؛ والتي حدّدها دوركايم بثلاث طرق وهي القوة والسلطة والتنشئة الاجتماعيَّة.

- **الأنموذج الثاني:** العلاقة الإيجابيَّة بين المجتمع والفرد، وهي علاقة البناء الاجتماعي؛ المجتمع هو «الأم المغذّية» التي يستقي منها الفرد الجوهر الأخلاقي والفكريّ له.

وأكَّد دوركايم أنّ الحتميَّة الاجتماعيَّة مهمّة في كلتا الحالتين السلبيّة والإيجابية، وهي ضرورة في السوسيولوجيا.

أمّا الفرضية الأساسية لنظرية الحتمية الاجتماعيَّة هي «أنّ البيئة المحيطة بالفرد هي التي تحدّد هويَّته» (Perkins, Bates, & Moonie, 2004, p. 49).

وترى هذه النظرية أنّ البنى الاجتماعيَّة هي التي تتحكّم في محتويات التكنولوجيا وأشكالها، أي أنّ القوى الاجتماعيَّة المالكة لوسائل الإعلام هي التي تحدّد محتواها (عبدالصادق، 2012)، وحول فكرة التكنولوجيا والمجتمع هناك من أطلق تسمية «مدخل البنى الاجتماعيَّة للتكنولوجيا»Social Construction Of Technology Approach، وهذا المدخل يرى التكنولوجيا كبناء اجتماعيّ، ولا يراها عاملًا في التغيير الاجتماعي، فالمجتمع هو من يقرّر وليس التكنولوجيا (صالح، 2017، ص. 116). وحول فكرة التكنولوجيا والمجتمع أكّدت غرين 2002) Green) أنّ التطور التكنولوجي عبر التاريخ ينبع من حاجة اجتماعيّة اقتصادية أو سياسيّة أو عسكريّة.

هذا وقد تعرّضت النظريّة إلى النقد لمسألة أنّه على الرغم من أنّ عوامل السببيَّة للأفعال الفرديَّة غير مرئيَّة أو غير معروفة، إلّا أنّ هذا الشيء لا يمكن إثبات عدم وجودها (Levite, 1996). وانتقد الباحثان الفرنسيان برونير وجيان (2017) الأُسس والمنطلقات التي تقوم عليها النظريَّة، مطالبين بخطاب اجتماعي/سوسيولوجي لا حتميّ، ولا بدّ من سوسيولوجيا تحليليَّة؛ وذلك من خلال إعادة الاعتبار للفرد كونه فاعلًا اجتماعيًّا -ووُفق فيبر- سوسيولوجيا فهميَّة تقوم على فهم الفعل الاجتماعي وليس حتميَّته .

ثانيًا: نظريَّة الحتميَّة التكنولوجيَّة Technological Determinism Theory

تُعرّف الموسوعة العالميَّة للعلوم الاجتماعيَّة والسلوكيَّة International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences (Kline, 2001) «الحتميَّة التكنولوجيَّة» أنّه مصطلح يُستخدم لوصف مجموعة من الادعاءات المقدَّمة حول العلاقة بين ما نسمّيه عمومًا التكنولوجيا والمجتمع. والحتميَّة التكنولوجيَّة هي نظريَّة اختزاليَّة تهدف إلى توفير صلة سببيَّة

بين التكنولوجيا وطبيعة المجتمع. كما تطرح النظريَّة تساؤلًا أساسيًّا حول الدرجة التي يتأثر بها الفكر أو الفعل البشريّ بالعوامل التكنولوجيَّة (Communication Theory, 2016).

إنَّ عالم الاجتماع والاقتصاد الأميركي ثورستين فلبين Thorstein Veblen هو أوّل من صاغ نظريَّة الحتمية التكنولوجية؛ وذلك من خلال إيجاد الارتباط بين التكنولوجيا والمجتمع(Hauer , 2017). أمّا الباحث في علوم الاتصال مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan فانطلق في النظريَّة عام 1962 في كتابه «مجرة غوتنبرغ» وكان متأثرًا بعالم الاقتصاد الكندي هارولد اينيس Harold Innis الذي بحث احتكار المعرفة؛ انطلق ماكلوهان من أفكار الفلاسفة الغربيّين كآدم سميث Adam Smith، جون ستيوارت ميل John Stewart Mill ونيتشه Niezsche، لأنّها تركّز على القوى الاقتصاديَّة والصناعيَّة التي عرفتها أوروبا في عصر النهضة الصناعيَّة في القرن الثامن عشر، فماكلوهان يربط كل تغيير اجتماعيّ إلى القوّة الماديَّة وسطوة الآلة (قرناني، 2014). تنطلق الحتميَّة النكنولوجيَّة لماكلوهان من فكرة مفادها أنّ التكنولوجيا، وعلى وجه الخصوص الإعلام، يقوم بتشكيل كيفيَّة تفكير الأفراد، وشعورهم وأفعالهم بشكلٍ حاسم، وكيف ينظّم المجتمع نفسه ويتصرّف (Margaret & DeFleur, 2016, p. 237). وتكلّم ماكلوهان أنّه لا يمكن النظر إلى مضمون وسائل الإعلام دون النظر إلى تكنولوجيا الوسيلة الإعلاميَّة، ويؤمن بأنّ الاختراعات التكنولوجيَّة المهمّة هي التي تؤثّر في المجتمعات (مطر، 2020).

كانت النظريَّة الحتميَّة التكنولوجيَّة من النظريَّات الأكثر شعبيَّة في منتصف الثمانينيَّات، وهي من نظريَّات التأثير التي تناولت العلاقة بين التكنولوجيا والمجتمع، والتي تسعى إلى تفسير الظاهرة الاجتماعيَّة والتاريخيَّة لعامل محدّد وهو التكنولوجيا، إذ تلعب التكنولوجيا دورًا في التغيير الاجتماعي على صعيد الأحداث اليوميَّة (Lawson, 2007).

فرضيَّات نظريَّة «الحتميَّة التكنولوجيّة»:

وضع الفيلسوف الأميركي لانغدون وينر Langdon Winner فرضيّتين أساسيّتين للنظريّة:

- **الأولى:** التكنولوجيا هي المؤثّر الأساسي للوجود وطريقة وجود المجتمع.

- **الثانية:** يُعد التغيّر في التكنولوجيا المصدر الأساسي للتغيّر الاجتماعي.

أمّا شاندلار فقد وضع أربع فرضيَّات هي (Tomic, Lengel, & Thurlow, 2004, p. 41):

- **الاختزاليَّة:** تقلّل الحتميَّة التكنولوجيَّة من العلاقة بين التكنولوجيا والثقافة إلى علاقة مباشرة مبنيَّة على السبب والأثر.

- **الأحاديَّة:** تبسّط الحتميَّة التكنولوجيَّة العلاقة المتداخلة للآثار بعامل واحد وهو التكنولوجيا.

- **الحياد:** تُظهر الحتميَّة التكنولوجيَّة «التكنولوجيا» أنّها محايدة، وبالتالي هي ليست مسؤولة.

- **إلزاميَّة التكنولوجيا:** تُظهر الحتميَّة التكنولوجيَّة أنّه لا يمكن إيقاف التقدّم التكنولوجي، فلا مفر منه ولا يمكن الرجوع فيه إلى الوراء.

من فرضيّات النظريَّة أيضًا التي ذكرتها بريستون (Preston, 2001, p. 111) «استقلاليَّة التطوّر التكنولوجي، في حين الارتباط الحتميّ للتطور الاجتماعي أو التاريخي بالتكنولوجيا والانتشار التكنولوجيّ».

كما يرى ماكلوهان أنّ الوسيلة هي التي تشكّل وتسيطر على شكل ومدى العلاقات والأفعال الإنسانيَّة، ويضيف إلى أنّ التحوّل الأساسي في تكنولوجيا الاتّصال يؤثّر تزامنًا مع التحوّلات الكبرى في المجتمع، ليس في التنظيم الاجتماعيّ فقط بل في الأحاسيس والإنسانيّة أيضًا.

وتناولت النظريَّة قطبي التأثير؛ التأثير الإيجابيّ للتكنولوجيا والتأثير السلبي لها؛ يُقصد به النظرة التشاؤميّة لها (صالح، 2017). تطورت النظريّة منذ ظهورها إلى فرعين أساسيّين هما (صالح، 2017، ص. 121):

- **الحتميّة الصارمة Hard Determinism:** تنظر إلى التكنولوجيا كونها الأكثر كفاءة وفعاليَّة وضروريَّة لإحداث التغيير الاجتماعيّ.

- **الحتميَّة الناعمة Soft Determinism:** ترى التكنولوجيا عاملاً أوليًا مهمًا يمكن أن يُيسر عمليّة التغيير الاجتماعيّ.

تعرّضت هذه النظريّة للنقد بسبب التبني الأحادي للتأثير، إذ أنّه لا بدّ من تأثير جدلي بين سلبيّ وإيجابيّ. وأبرز المعارضين لها كان وهو الباحث والأكاديميّ بيير ليفي Pierre Lévy، الذي تكلّم عن الفضاء السيبراني كجزء من الحركة الاجتماعيَّة وليس المحرّك الأساسي للحركة الاجتماعيَّة كما نصّت النظريّة (Hauer , 2017, p. 2). ويطرح بعض الباحثين عمليّة البناء المشترك والتي تسمى بالحتميّة المتعدّدة الأبعاد Multiple Determination. كما يرى هارت وهاريسون أنّ التغيير التكنولوجيّ هو فعل تراكميّ، وينتج بفعل الظروف الاجتماعيَّة (صالح، 2017، ص. 126)؛ ومن النقد الجليّ للنظريّة أنّ الخيار لاستخدام التكنولوجيا وتجربة آثارها هو بيد الإنسان (Communication Theory, 2016).

إذًا تقوم نظريّة الحتميَّة التكنولوجيّة على أنّ القاعدة التكنولوجيَّة في المجتمع تؤثّر على جميع أنماط المجتمع، وأيضًا التغييرات التكنولوجيّة تُحتم تغيّر اجتماعيّ، والتغيّر الاجتماعيّ يعني تغيير أنماط الفعل الاجتماعيّ التي صنّفها فيبر Weber -النمط للفعل الموجه بأهداف عقليَّة، بالقيم والعواطف والتقاليد- (غيدنز، 2005)، فالقيم والتقاليد تدخل مباشرة في موضوع العولمة، وتغييرها أو تعديلها من خلال العولمة بكافة أنواعها يحتاج إلى قوّة كبرى وهي التكنولوجيا، والتي من خلالها ينساب كل ما هو جديد ليعدّل ويغيّر المجتمعات.

إنَّ المقاربة لهاتين النظرتين يجعلنا في انطلاقة واعية لتفسيرات تساعد في معرفة

الغايات من تمركز التكنولوجيا، بموازاة مراكز أبحاث ودراسات موجّهة ومدارة من قبل دول [1] وليس شركات فقط.

يتبين في الاستنتاج لتناول النظريّتين، أنّ المجال المعرفيّ للحتميّة التكنولوجيّة هو مجال أوسع من الحتميَّة الاجتماعيَّة، إذ يُجمع بين العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة من جهة (العلوم الاجتماعيَّة، وعلوم الإعلام والاتصال والفنون وعلم النفس) والعلوم التقنيَّة (كالتكنولوجيا والحوسبة وتقنيَّات المعلومات) من جهة أخرى، في حين يتركّز اهتمام الحتميَّة الاجتماعيَّة في علم الاجتماع وعلم النفس السلوكيّ.

من النقاط التي لا بدّ من الإشارة إليها، النقص في المعلومات المنشورة حول الحتميَّة الاجتماعيَّة، مقابل كميَّة ضخمة من المعلومات حول الحتميَّة التكنولوجيَّة بخاصَّة بعد كتابات ماكلوهان وطرحه لفكرة «القرية الكونيَّة» انطلاقًا من النظريَّة. ما يطرح تساؤلًا حول أسباب رواج «نظريَّة الحتميَّة التكنولوجيَّة» لا سيما في الدراسات الإعلاميَّة.

رغم تعدّد النظريّات الإعلاميَّة، فإن مقاربة هاتين النظريّتين ينظّم طريقة تفكيرنا في فهم المتغيّرات الجذريّة والرئيسة، ليس فقط في موضوع الإعلام والأسرة، وإنما في العلوم الأخرى المرتبطة بها منها العلاقات الدوليَّة واختلاف أدوات الحروب، حيث حروب الجيل السادس وأدواتها التكنولوجيّة يُحسب لها ألف حساب في التخطيط الاستراتيجيّ عند الدول التي تنتهجها. ونرى أنَّه لا ضير في التعرض لمختلف النظريَّات الأخرى وتفكيك المفاهيم والمقاربات يساعد في فهم الآليات التي تعمل المنظومة الفكريَّة العاملة على تطوير هذه الوسائل بما يخدم مصالحها ويحقق غاياتها.

1 - ما يجعل الاعلام الدولي مركز السياسات الإعلاميّة والتي تبرز في مواقف الشركات الإعلاميّة الضخمة كأحد الفاعلين الثانويين.

الخلاصة

أرخت الطفرة التكنولوجيّة بظلالها على وسائل الإعلام، التي سرعان ما حوّلتها إلى وسائل اتّصال وتواصل، بحيث أصبحت الوسائل الاتصاليّة -بفعل الابتكارات التكنولوجية- أحد أبرز الأسلحة الفعّالة ضمن تصنيفات الحروب الجديدة وهي الحرب السادسة، ومعالم الحرب السابعة تلوح قي الأفق. هذا لم يلغ الحرب الناعمة إنّما شكل فرصة لتطويرها؛ فأصبح الانترنت كمثال، من الوسائل المؤثرة في جميع البيئات التشغيليَّة من دون استخدام أدوات القوّة الصلبة التقليديَّة، فهي تغطّي جميع القضايا التي تشهدها التفاعلات الدوليَّة ومنها الثقافيَّة والإعلاميَّة.

أرخت الطفرة التكنولوجيّة بظلالها على وسائل الإعلام، التي سرعان ما حوّلتها إلى وسائل اتّصال وتواصل، بحيث أصبحت الوسائل الاتصاليّة -بفعل الابتكارات التكنولوجية- أحد أبرز الأسلحة الفعّالة ضمن تصنيفات الحروب الجديدة.

ويكّد ناي (2020) Nye أنّ الفضاء الإلكترونيّ لن يزيل سيادة الدولة أو حدودها الجغرافيّة، لكنه سيؤثّر على مفاهيم القوّة وأدواتها، وقد لخّص ذلك بالمعادلة التالية:

- التأثير في سلوكيَّات الفاعل - دفعه للقيام بأعمال لم يكن ليقوم بها.

نستنتج أنَّ وسائل الإعلام التقليديَّة لم تعد موجودة في المنظومة المتعارف عليها، كما شكّلت الحتميَّة التكنولوجيَّة البنى التحتيّة للعلوم كافّة لتغدو أكثر من وسائل، لا سيما وسائل الإعلام، بحيث أصبحت منظومة كاملة من الاتّصال والتواصل بين المجتمع الواحد والمجتمعات الأخرى، وأيضًا بين أفراد الأسرة الواحدة؛ وهذا

أحد التأثيرات للحتميَّة التكنولوجيّة التي أدّت إلى الحتميَّات الأخرى في العلوم، وفي مقدّمتها العلوم الاجتماعيَّة لا سيما نظريَّة التغيّر الاجتماعيّ، ويمكن الزعم أنَّها تستحق دراسة مستقلّة تتعلّق بالتغيير الاجتماعي في البيئات كافة؛ ومنها البيئة الداخليَّة التي تعنينا، فنحن بصدد متغيّرات الحتميَّة التكنولوجيَّة وتحدّيات الحتميَّة الاجتماعيَّة، في ظلّ استهداف مستمر ومكثّف على البيئة الداخليَّة، ما يتطلّب الرصد والتحليل لبيانات أبرز التحدّيات، إن لم يكن كلّها. وإذا ما أردنا استعراضها فإنّها سهلة التنبؤ، بحيث يترصدنا الآخر في كلّ المنعطفات، أمّا الصعوبة فهي في تفكيك شيفرة التحدّيات، كلّ على حدة، وتقليل فعاليّتها إذا لم نستطع التخطيط لتصفيرها، وهي كثيرة وشرسة وتُغّير تكتيكاتها باستمرار ما بين إعلام رقمي ومنصّات تواصل اجتماعي، ويمكن أن نرد أبرز التحدّيات إلى:

- تحدي معرفة المعلومات الموضوعيَّة عن سلوك المستخدمين بحسب الأجيال، إضافة إلى معرفة النشاطات الموزعة بحسب نوعها على المستويات الثلاثة لشبكة الانترنت [1]، لبناء قاعدة بيانات صحيحة لصناعة واتّخاذ قرار.
- التحدّيات الاجتماعيَّة الناتجة عن سلوك الاستخدام والارتدادات الاجتماعيَّة: العلاقات الأسريَّة بمختلف أنواعها وتعقيداتها لبناء تصوّر حول الأولويَّات.
- التحدّيات الاقتصاديّة الناتجة عن حيازة الأجهزة التقنيَّة والسلوك الاستهلاكيّ المتعاظم، على سبيل المثال لا الحصر، ولا يفوتنا الجوانب المتشعّبة للجانب الاقتصاديّ.
- التحدّيات الثقافيَّة وانسداد وسائل التثاقف كالإعلام التقليديّ وتراجع مستمر للقراءة، في مقابل تعرّض شبه مستمر لثقافات هجينة وبعضها شاذ.

عالم جديد يتشكّل، ليس من تلقاء نفسه، بل يلعب الفاعلون الأساسيّون وهم أصحاب المصالح الرئيسيون Stakeholders؛ الدول والشركات التي تديرها، الأدوار المعنيَّة بالتغييرات الاتّصاليَّة لممارسة الغرس الثقافي [2] الآخذ بالتمدّد والتغلغل في البيئات

1 - هي: سطح الشبكة والشبكة العميقة والشبكة المظلمة surface- deep- dark web =.

2 - يتمّ استخدام نظريّة أصحاب المصلحة ونظريَّة الغرس الثقافيّ أيضًا لتفسير استخدام وسائل الاتّصال في الحرب الناعمة.

عامّة والبيئات الممانعة على وجه التحديد. إنَّ قيمة ماكلوهان بأنّ «الوسيلة هي الرسالة» تصلح الآن أكثر من زمن انطلاقتها، فهو يشير إلى أنَّ تقنيَّات الاتّصال هي الأساس في تفسير تطوّرات المجتمع؛ ولسان حاله أنَّه يجب ألّا نعير اهتمام كبير للمضمون، إن أردنا فَهم انخراط أو اندراج وسائل الإعلام في المجتمع في كلّ المراحل التاريخيَّة. أي ثمّة حتميَّة تكنولوجيَّة هي التي من شأنها تفسير تطور المجتمعات أو تغييراته، في علاقتها بوسائل الإعلام والاتصال (اليحياوي، 2020).

يختم وولتون (2012، ص 150) كتابه البحثي «الإعلام ليس تواصلًا بأن «الإعلام والتواصل يمثّلان أكبر مسائل مطلع هذا القرن وهي مسألة السلم والحرب»، فيما خليفة (2019) يرى أنَّ مسار التغيير الذي أحدثته التكنولوجيا في حالة حركة مستمرّة وسريعة، وهي آخذة بالتصاعد، وفي مقدّمها مواقع التواصل الاجتماعيّ، تديرها محرّكات القوى Driving Forces؛ ما يدفع إلى إعادة تعريف الأمن، لا سيما الأمن المجتمعي [1].

تحتاج الأسرة إلى إعادة النظر من حيث وسائل التواصل بين أفرادها، ولا نعني إعادة النظر بقيمها فهي ثابتة المفاهيم [2]، إلّا أنَّ المقاربة لإشكاليَّات التهديدات الخارجيَّة تتطلّب مراجعة إمكانات الفاعلين ومصدر هذه الإمكانات والوعي بها، وهذه منظومة مجتمعيَّة بتظافر جهود الاختصاصات المعنيَّة كأصحاب مصلحة مؤثّرين للخروج برؤية مشتركة بكيفيَّة تحويل التهديدات إلى فرص للتغلب على حروب الجيل السادس وما بعدها.

تحتاج الأسرة إلى إعادة النظر من حيث وسائل التواصل بين أفرادها، ولا نعني إعادة النظر بقيمها فهي ثابتة المفاهيم ، إلّا أنَّ المقاربة لإشكاليَّات التهديدات الخارجيَّة تتطلّب مراجعة إمكانات الفاعلين ومصدر هذه الإمكانات والوعي بها.

1 - انظر مقال ريتشارد اولمان «اعادة تعريف الامن» الصادر عام 1987.

2 - تستحق دراسة مخصصة لأهميتها في مراكز البحوث الغربية والتناول الاعلامي لها.

التوصيات

لا يمكن تجاهل التقدّم والتطوّر الذي حدث في وسائل الإعلام الحديثة بما فيها الفضائيَّات والذي أدَّى إلى طفرة كبيرة في الحياة الاجتماعيَّة، الأمر الذي فتح الباب لحدوث مشاكل اجتماعيَّة وانحرافات أخلاقيَّة، وذلك بسبب دورها الكبير في التأثير على اتّجاهات الناس وقيمهم وأخلاقهم وسلوكيَّاتهم ومختلف أنماط عيشهم. والناس ليسوا سواء في الإدراك والمستويات الاجتماعيَّة والثقافيَّة للتعامل مع هذه التقنيَّات الحديثة، فالمشكلة تكمن في كيفيَّة استخدام هذه الوسائل التي يخضع تأثيرها بحسب مستويات الوعي والمعرفة لدى الفرد والمجتمع.

كل ذلك يستدعى منّا مواجهة جادَّة في البحث والدراسة وتظافر الجهد في العمل الجماعي المتمثّل بعمل المؤسّسات للحفاظ على قيمنا وحماية الأسرة من الضياع.

لإدارة العمل الثقافي نقترح سبعة عناوين:

1 - تفعيل دور المؤسّسات التي تُعنى بالأسرة. (جمعيات التي تُعنى بشؤون الزوجية، جمعيات الام والطفل...)

تمر الأسرة اليوم بمتغيّرات كبيرة نتيجةً لعدّة عوامل، منها دخول وسائل الإعلام الجديد إليها والتي ازدادت معها الخلافات الزوجيَّة، وبالتالي ازدادت حالات الطلاق في المجتمع. إنَّ هذا الأمر في اتساع، فلا بدَّ من العمل على تظافر الجهود بين مختلف المؤسَّسات التي تمثّل عمل جماعي مختص وهادف، ومن أهم ما نحتاج إلى تفعيله مؤسّسات الإرشاد الأسريّ المختصّة التي تعمل على معالجة المشاكل الأسريَّة من خلال الإرشاد إلى كيفيَّة اختيار الزوجة أو الزوج وتقديم النصح للتقارب بين الزوجين وتقديم الحلول، من خلال برامجها المتنوّعة وأنشطتها المختلفة ومن خلال ما تقوم به من دورات تأهيليَّة، وأيضًا ممّا لا شكّ فيه أنَّ للأسرة دور أساس في تربية الأبناء؛ فهي التي تربّي وتُوجّه وتُعلّم الطفل، فالبيئة البيتيَّة التي يتوفّر

فيها الاهتمام بالشأن التربويّ والثقافيّ تُنشئ بالمجمل أفرادًا صالحين. ينبغي إرشاد الأبوين، في ظل المخاطر الناشئة من الانترنت والتي تهدد المنظومة العقائديّة والسلوكيّة للطفل أو اليافع، إلى:

أ - أخطار وسائل التواصل الحديث وطبيعتها والتي يمكن أن تؤثر سلبًا على الأبناء.

ب - تزويدهما بمعرفة التدابير والإجراءات التي يمكن اتّخاذها لحماية الأبناء عند استخدامهم للإنترنت.

مع ملاحظة أنَّ الجيل الحالي من الأطفال يمتلك مهارات متقدّمة في استخدام تلك الأجهزة بدرجة تفوق الآباء والأمّهات، ولهذا ينبغي توجيه وترشيد الأهل من خلال مؤسّسات مختصّة.

2 - **تفعيل دور المؤسّسات الإعلاميّة.** (وسائل تواصل، تلفزيون، مجلة، إذاعة ...)

3 - **تفعيل دور المؤسّسات التربويّة.** (المدارس، التعبئة التربوية ...)

4 - **تفعيل دور المؤسّسات الدينيّة.** (رجال دين، المكاتب الشرعية...)

5 - **تفعيل دور المؤسّسات التثقيفيّة.** (معاهد،...)

6 - **تفعيل دور المؤسّسات الشبابيّة.** (الكشاف، أطر ...)

7 - **تفعيل دور الأبحاث والدراسات.**

أمَّا في مجال العمل البحثيّ المطلوب تغطيته متشعب جدًّا ومتداخل، فالمتغيرات والتحدّيات مركبة، ما يتطلّب تعاون أكثر من مختص في مجالات متعددة؛ نذكر منها:

- علم الاجتماع السلوكي.
- علم اجتماع الأسرة.
- علوم الإعلام والاتصال.
- الإعلام الرقمي ومواقع التواصل.

على أنَّ الاخيرة تحتاج غلى تركيز لدراسة تأثيراتها المجتمعيَّة عامّة والأسرة خاصّة، من خلال دراسة كل منصّة أو تطبيق على حدة.

فتطبيق الواتسآب يحتاج إلى دراسة تفصيليَّة، وكذلك الأمر مع شبكة نتفليكس والفضائيَّات. كما أن تسارع التغيّيرات الاجتماعيَّة الحاصلة جراء الحتميَّة التكنولوجيَّة، تستدعي الرصد المستمر للمتابعة الحثيثة للبيانات بغية دراستها واتّخاذ القرار المناسب، ويرى اليحياوي (2020) أنّ استحضار العنصرين التاليين بالغ الأهميَّة في الرصد وهما:

1. مدى اندماج الوسيلة الإعلاميَّة المراد دراستها، في بنية المجتمع الذي يتلقّاها.
2. تقييم الاستقبال الاجتماعيّ لوسيلة إعلاميَّة محدّدة، قياسًا إلى باقي وسائل الإعلام.

يحتاج الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعيّ في البيئة الداخليَّة لمجتمع المقاومة إلى دراسات ميدانيَّة للتعرّف بتعمّق على خصائصه ومدى انخراطه بهذه الوسائل، على أنّ لكل وسيلة ومنصّة ميّزات مشتركة وميزات خاصة.

لا يقف الأمر عند اختلاف الوسائل والمنصّات، بل يتعداه إلى اختلاف الأجيال في الأسرة الواحدة، وهذا أساسي لفهم التغييرات الاجتماعيَّة أو الحتمية الاجتماعيَّة. كما نزعم أنَّ تقسيمات الأجيال استنادًا إلى المتغيّرات التكنولوجية هو أمرٌ بالغ الأهمية لتخطيط البرامج التوعويَّة لكلّ الأجيال حتى يتمّ التلاقي في المساحة المشتركة.

إنَّ استخدام النقد والتفكيك للأفلام والمسلسلات من خلال أكثر من وسيلة إعلاميَّة أو مواقع التواصل، يوهن بنية المنتجات الإعلاميَّة التي يتلقاها الجمهور والتي يرى أنّها حقيقة [1]. تجدر الإشارة أنّ النقد والتفكيك متداول في الإعلام الغربي، وهو فرصة للاستفادة منه، وبدأ بالتسلل في بعض الصفحات الثقافيَّة لوسائل الإعلام

1 - مثال فيلم أفاتار الذي شكّل دهشة للجمهور، ثم أفل نجمه.

التقليديَّة كصحيفة الأخبار اللبنانيَّة، على سبيل المثال فيلم The Social Dilemma/ المعضلة الاجتماعيَّة انتاج 2020 تحت تصنيف الدراما الوثائقيَّة، وهو يتناول معضلة مواقع التواصل الاجتماعيَّة عرضًا وتحليلًا. في المقابل لا بدّ من الإشارة إلى الدور المشبوه لصحيفة الشرق الأوسط السعوديَّة التي تغطّي معظم انتاجات نتفليكس وتُسوّق لها بشكل ثابت وتفرد لها مساحات يعتد بها؛ ولا يفوتنا منصّة شاهد ضمن مجموعة MBC السعوديّة التي بدأت بالعمل مؤخرًا لصالح إتاحة الخيارات للمشاهد مع وعود بخدمات آتية، والملاحظ في المحتوى المعالجات الدراميَّة للعلاقات الأسريَّة لصالح الطروحات البعيدة عن الإسلام.

إنَّ رصد الأدبيَّات الغربيَّة التي تجهد بحثيًّا في تتبّع انعكاس الحتميَّة التكنولوجيَّة على المجتمع والأسرة، يخدم معرفتنا بالتهديدات والفرص لاستخدامات مواقع التواصل ومحتوى برامج الفضائيَّات، لا سيما أنَّ بعض المجتمعات الغربيَّة تجدها سببًا لمشاكل المجتمع. إضافةً إلى رصد الأدبيَّات، يمكن الاستفادة من الأيام العالميَّة والخاصّة التوعويَّة، حيث تشكّل محطّات للمعرفة بالإيجابيَّات والسلبيَّات في خلال التخطيط لفعاليَّات ذات صلة.

توصيات عامّة:

- العمل على المتابعة الدائمة لحالات الطلاق وفرز أسبابه، وفي هذا الإطار يمكن وضع استمارة خفيفة تحدّد أسباب الطلاق بين يدي الأخوة الأفاضل من علماء الدين؛ وفي نهاية كل سنة يتم جمع الاستمارات وفرز أسباب الطلاق.
- دخول الأخوة العلماء بفاعليَّة إلى ساحات وشبكات التواصل الاجتماعيّ بهدف نشر الوعي.
- إدخال مادة التواصل الاجتماعيّ إلى مناهج والحوزات والدورات الثقافيّة.
- العمل على المتابعة الدائمة لحالات الطلاق وفرز أسبابه، وفي هذا الإطار يمكن وضع استمارة خفيفة تحدّد أسباب الطلاق بين يدي الأخوة الأفاضل

من علماء الدين. وفي نهاية كل سنة يتم جمع الاستمارة وفرزها.

- انجاز دراسة ميدانية تبين بالأرقام التحدّيات الأسريَّة على الفضائيات ووسائل التواصل ذات المحتوى التربويّ والأخلاقيّ والاجتماعيّ.
- عقد ملتقيات لباحثين ومتخصّصين، وذلك لبحث كيفيَّة التعامل مع التحدّيات الأسريَّة.
- تطوير الخطاب لناحية المضمون والذوات بسبب تماهي الأجيال الجديدة مع خطاب الفضائيّات ووسائل التواصل.
- تحرّك فعاليَّات سياسيَّة أو قانونيَّة لاستصدار تشريعات تتابع موضوع الأسرة والتحدّيات التي تواجهها.
- تشكيل أطر شبابيَّة واعية للعمل على بث الوعي حول المخاطر.

ختامًا يقول الإمام الخامنئي (دام ظله):

« اعلموا يا أعزائي أنَّ أوَّل عملٍ يمارسه الإعلام ضد الدول هو التشكيك في مصداقيَّة المراكز الحقيقيَّة للصدق والصفاء فيها؛ فيشكّك في طبيعة عمل أجهزة الإعلام الصادقة، ويثير الشكوك حول شخصيَّات الناس المؤمنين، ويكيل التهم لهذا وذاك، ويخلق التردّد في قلوب الناس، ويحرف العقول ويقلب الحقائق».

قائمة المصادر والمراجع

1. إصدارات مركز الحرب الناعمة ـ تقارير حول الأسرة.

2. بارني، دارن، (2015)، المجتمع الشبكي ترجمة أنور الجمعاوي، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

3. خليفة، إيهاب (2019)، مجتمع ما بعد المعلومات: تأثير الثورة الصناعية الرابعة على الأمن القومي، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.

4. السكري، مي، (2020)، متخصِّصون: «نتفليكس» للشباب.. والفضائيات لكبار السن.

5. صالح، عادل، (2017)، الإنترنت والسياسة: دراسة في الاستخدام والتأثير في ضوء الخبرات المحلية والدولية، عمّان: المنهل.

6. صحيفة القبس (2021)، نتفليكس تتجاوز 200 مليون مشترك.

7. صديق، خليدة، (2015)، أساسيَّات في الإعلام الدولي، عمان، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.

8. عبدالصادق، عادل، (2012)، الفضاء الإلكتروني والديموقراطية: بين التحولات والتحدّيات، القاهرة: المركز العربي لابحاث الفضاء الالكتروني.

9. علّو، أحمد (2019)، هل أصبحنا في الجيل السادس؟، مجلة الحيش (405).

10. غيدنز، انطوني، (2005)، علم الاجتماع، (فايز صباغ، مترجم) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

11. قرناني، ياسين، (2014)، قراءة تحليليَّة لنظريَّة الحتميَّة التكنولوجيَّة والحتميَّة القيميَّة: بين مارشال ماكلوهان وعبد الرحمن عزي، مجلة العلوم الاجتماعيَّة، 3، الصفحات 65ـ73.

12. مشعل، طلال (2018)، وسائل الاتصال الحديثة وتأثيرها على الأسرة.

13. مطر، مدحت، (2020)، لغة الإعلام والخطاب، عمّان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

14. منصور، شادي (2019)، حروب الجيل الخامس: أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع.

15. ناي، جوزف (2010)، القوة الناعمة، الرياض، مكتبة العبيكان.

16. اليحياوي، يحي (2020)، عن دور الإعلام في إصلاح الواقع: مقاربة نظرية من زاوية التأثير.

17. APA. (n.d.). social-determinism. Retrieved October 10, 2020.

18. Bronner, G., & Gehin, E. (2017). Le danger sociologique. Paris: Puf.

19. Chandler, D. (2013). Technological or Media Determinism. Retrieved October 10, 2020, from aber.

20. Communication Theory. (2016). Technological Determinism. Retrieved October 11, 2020, from Communication Theory.org.

21. Encyclopedia of Britannica . (2020). Determinism Definition. Retrieved October 10, 2020.

22. Green, L. (2002). Technoculture : from alphabet to cybersex. New South Wales: Allen & Unwin.

23. Hauer, T. (2017). Technological determinism and new media. International Journal of English, Literature and Social Science (IJELS).

24. Kenton, Will (2018). Social Media and Satellite Television (Satellite TV).

25. Kline, R. (2001). Technological Determinism. International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, pp. 1549515498-.

26. Lawson, C. (2007). Technological Determinism and the Transformational model of social activity. In Contributions to Social Ontology. London: Roultedge.

27. Lehmann, J. (1994). Durkheim and Women. Nebraska : University of Nebraska .

28. Levite, A. (1996). The «Ism» That Isn't (Why Social Determinism Cannot Mean What it Says). Retrieved October 10, 2020, from INDEPENDENT INSTITUTE PUBLICATIONS.

29. Margaret, M. H., & DeFleur, M. L. (2016). Mass Communication Theories: Explaining Origins, Processes, and Effects. London: Roultedge.

30. Perkins, D., Bates, A., & Moonie, N. (2004). Diversity and Rights in Care. Portsmouth: Heinemann.

31. Preston , P. (2001). Reshaping Communications: Technology, Information and Social Change. California: SAGE.

32. Sun, R. (2001). Duality of The Mind: A Bottom-up Approach Toward Cognition. London: Psychology Press.

33. Tomic, A., Lengel, L., & Thurlow, C. (2004). Computer Mediated Communication. California: SAGE.